دار السلام

DARUSSALAM

دار السلام
للنشر والتوزيع

شارع الأمير عبدالعزيز بن جلوي (الضباب سابقًا)
مقابل الغرفة التجارية
ص.ب: ٢٢٧٤٣ الرياض ١١٤١٦
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٠٣٣٩٦٢ - ٤٠٤٣٤٣٢ / ٠٠٩٦٦١
فاكس: ٤٠٢١٦٥٩ / ٠٠٩٦٦١

جميع حقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

فتح الباري
شرح
صحيح البخاري

للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني

٧٧٣ - ٨٥٢ هـ

الجزء الأول

الأحاديث: ١ - ٥٢٠

كتاب: بدء الوحي - الإيمان - العلم - الوضوء
الغسل - الحيض - التيمم - الصلاة

طبعة جديدة منقحة ومقابلة على طبعة بولاق
والطبعة الأنصارية والطبعة السلفية التي عني بإخراجها
سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله
وقام بإكمال التعليقات بتكليف وإشراف من سماحته
تلميذه علي بن عبدالعزيز الشبل حفظه الله
ورقم كتبها وأبوابها وأحاديثها
الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقي رحمه الله

دار السلام
الرياض

فهرس ألف بائي بأسماء كتب صحيح البخاري

رقم الكتاب	الجزء	رقم الكتاب	الجزء	رقم الكتاب	الجزء
٣٧ ـ الإجارة	٤	٨٦ ـ الحدود	١٢	٥ ـ الغسل	١
٩٣ ـ الأحكام	١٣	٤١ ـ الحرث والمزارعة	٥	٩٢ ـ الفتن	١٣
٩٥ ـ أخبار الأحاد	١٣	٣٨ ـ الحوالة	٤	٨٥ ـ الفرائض	١٢
٧٨ ـ الأدب	١٠	٦ ـ الحيض	١	٥٧ ـ فرض الخمس	٦
١٠ ـ الأذان	٢	٩٠ ـ الحِيَل	١٢	٦٢ ـ فضائل الصحابة	٧
٨٨ ـ استتابة المرتدّين	١٢	٤٤ ـ الخصومات	٥	٦٦ ـ فضائل القرآن	٩
١٥ ـ الاستسقاء	٢	٥٧ ـ الخمس	٦	٢٩ ـ فضائل المدينة	٤
٤٣ ـ الاستقراض	٥	١٢ ـ الخوف	٢	٢٠ ـ فضل الصلاة	٣
٧٩ ـ الاستئذان	١١	٨٠ ـ الدعوات	١١	٨٢ ـ القدر	١١
٧٤ ـ الأشربة	١٠	٨٧ ـ الديات	١٢	١٦ ـ الكسوف	٢
٧٣ ـ الأضاحي	١٠	٧٢ ـ الذبائح والصيد	٩	٨٤ ـ كفارات الأيمان	١١
٧٠ ـ الأطعمة	٩	٨١ ـ الرقاق	١١	٣٩ ـ الكفالة	٤
٩٦ ـ الاعتصام بالسُنّة	١٣	٤٨ ـ الرهن	٥	٧٧ ـ اللباس	١٠
٣٣ ـ الاعتكاف	٤	٢٤ ـ الزكاة	٣	٤٥ ـ اللقطة	٥
٨٩ ـ الإكراه	١٢	١٧ ـ سجود القرآن	٢	٣٢ ـ ليلة القدر	٤
٦٠ ـ الأنبياء	٦	٣٥ ـ السَلَم	٤	٢٧ ـ المحصر	٤
٢ ـ الإيمان	١	٢٢ ـ السهو	٣	٧٥ ـ المرضى	١٠
٨٣ ـ الأيمان والنذور	١١	٥٦ ـ السِّير	٦	٤١ ـ المزارعة	٥
٥٩ ـ بدء الخلق	٦	٤٢ ـ الشرب والمساقاة	٥	٤٢ ـ المساقاة	٥
١ ـ بدء الوحي	١	٤٧ ـ الشركة	٥	٤٦ ـ المظالم	٥
٣٤ ـ البيوع	٤	٥٤ ـ الشروط	٥	٦٤ ـ المغازي	٧
٣١ ـ التراويح	٤	٣٦ ـ الشفعة	٤	٥٠ ـ المكاتب	٥
٩١ ـ التعبير	١٢	٥٢ ـ الشهادات	٥	٦١ ـ المناقب	٦
٦٥ ـ تفسير القرآن	٨	٨ ـ الصلاة	١	٦٣ ـ مناقب الأنصار	٧
١٨ ـ تقصير الصلاة	٢	٥٣ ـ الصلح	٥	٩ ـ مواقيت الصلاة	٢
٩٤ ـ التمني	١٣	٣٠ ـ الصوم	٤	٨٣ ـ النذور	١١
١٩ ـ التهجّد	٣	٧٢ ـ الصيد	٩	٦٩ ـ النفقات	٩
٩٧ ـ التوحيد	١٣	٧٦ ـ الطب	١٠	٦٧ ـ النكاح	٩
٧ ـ التيمم	١	٦٨ ـ الطلاق	٩	٥١ ـ الهبة	٥
٢٨ ـ جزاء الصيد	٤	٤٩ ـ العتق	٥	١٤ ـ الوتر	٢
٥٨ ـ الجزية والموادعة	٦	٧١ ـ العقيقة	٩	١ ـ الوحي	١
١١ ـ الجمعة	٢	٣ ـ العلم	١	٥٥ ـ الوصايا	٥
٢٣ ـ الجنائز	٣	٢٦ ـ العمرة	٣	٤ ـ الوضوء	١
٥٦ ـ الجهاد والسير	٦	٢١ ـ العمل في الصلاة	٣	٤٠ ـ الوكالة	٤
٢٥ ـ الحج	٣	١٣ ـ العيدين	٢		

وضع هذا الفهرس وفق المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، وفيه الإشارة إلى رقم الكتاب، والمجلد الذي يحتوي عليه وقد وضعنا على غلاف كل مجلد أرقام الكتب التي يحتوي عليها تسهيلاً للقارىء، والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد...

لقد قطعت دار السلام للنشر والتوزيع على نفسها عهداً بأن تسعى جاهدة لنشر الكتاب والسنة الصحيحة، إيماناً بها بأن هذا هو الصراط المستقيم الذي ارتضاه الله لنا، والمنهاج الذي تركه لنا رسوله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وما كان اهتمام الإدارة بالسنة الصحيحة إلا ابتغاءً لمرضات الله سبحانه وتعالى، ثم تلبية لرغبة قرائنا الكرام ـ الذين يزدادون يوماً فيوماً ويتسابقون في طلب العلم ـ وشوقاً لاحتلالها منزلة سامقة في نفوس العلماء وطلاب العلم والخطباء والعامة.

ومن المعلوم جداً أن من أحسن كتب الإسلام كتاب صحيح البخاري، إذ هو أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز، وقد جمع فيه ما صح على شرطه من أقوال النَّبي ﷺ وسننه وأيامه، فلقي قبولاً عند الأمة كافة، والتفت إليه أهل الاختصاص بالحديث رواية واستخرجاً وشرحاً وطباعة في ما مضى، وبالأخص في عصرنا هذا، فطبع «الجامع الصحيح» طبعات كثيرة وطبع عدة من شروحه أهمها «فتح الباري» للحافظ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ.

وقد جاء هذا الشرح مكملاً لأصله، جمع مؤلفه فيه أقوال أكثر من سبقه ممن تعرض لمسائل من العلم ذات صلة بصحيح البخاري، وناقشها مناقشة العالم الحاذق الفذ، فبين رسوخ قدمه في العلم واطلاعاً واسعاً منه على كتب من سبقه، حتى ليظن الناظر في كتابه أنه نشر فيه كتبهم وأقوالهم، فناقش وقارن ورجح ما صح عنده.

ومن ثم لقي «فتح الباري» لابن حجر العسقلاني شهرة في الأقطار، وبادر أهل العلم إلى طبعه منذ أوائل عهد المسلمين بالطباعة، وقد تواصل به عهد ولي الأمر بدارة بهوفال العلامة نواب صديق حسن خان حيث تصدى لطباعته، وجمع لهذا الشأن جماعة من

العلماء الكبار ذوي العدد البالغ فشرعوا في تصحيحه، وسعوا له بالبذل من المقدورات التي كانت تليق بعظمة الكتاب، فطبعه أولاً في المطبعة الأميرية ببولاق بمصر سنة ١٣٠١ هـ، وقد كلف لنشره آنذاك من المبلغ ما يقارب مائة ألف روبية هندية، ووزع جميعها لوجه الله تعالى بين العلماء والمشايخ، ثم في زمن متقارب منه في آخر حياته تقرر رأيه على إعادة طباعته بمطبعة الأنصاري بدلهي في الهند ولكن لم يتمكن من إكمال طباعته حتى وافته المنية وظهر المطبوع بعد وفاته بثلاث سنين، وما كان من سبب لطول هذا الزمن إلا أنه ينحصر فيما كانت تواجههم الصعوبة عند الطباعة على الحجر، وكانت الطباعة الأولى بالحروف المصففة يدوياً في أربعة عشر مجلداً عادياً، وهذه - أي: الطباعة الحجرية - بستة مجلدات كبيرة.

والذي نعلم أن النسخة الأخيرة المطبوعة بمطبعة الأنصاري هي التي تعتبر عندنا - في شبه القارة الهندية خاصة - من أتقن النسخ وأدقها، وإن كانت الأولى أذكر في الناس منها، والله أعلم.

ولما كانت طبعة المكتبة السلفية بمصر أشهر الطبعات لما حظيت به من جهود أهل العلم، حيث قد أشرف عليها الشيخ محب الدين الخطيب - رحمه الله - وصحح أوائلها سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - حفظه الله تعالى - ورقمها واستقصى أطرافها الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي - جزاه الله خيراً - وقد مضى على طباعتها اليوم نحو من ثلاثين عاماً، اتخذنا هذه الطبعة أساساً لعملنا هذا فرقمنا حسب ترقيمها، وقمنا بالصف الجديد وصححناها من أخطاء الطباعة التي ندت عن نظر المصححين فيها، إلى أن جاء دور المقارنة والتصحيح النهائي.

وأثناء ذلك دار الحديث مع فضيلة الشيخ أبي الأشبال صغير أحمد - حفظه الله -، فذكر تلك النسخة المطبوعة بمطبعة الأنصاري وفضلها على غيرها قائلاً:

«قد طبع فتح الباري عدة طبعات وأجل هذه الطبعات وأحسنها هي التي طبعت بدلهي سنة ١٣١٠ هـ، وهي طبعة حجرية، وتليها طبعة بولاق سنة ١٣٠١ هـ وتليها طبعة المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٨٠ هـ، وهناك طبعات أخرى مثل الطبعة المنيرية بالقاهرة وغيرها».

فلبينا بالقبول غير أن هذه النسخة كانت عسيرة الوجود حتى لا تكاد تجدها إلا في بقاع قليلة، وحسب اطلاعنا لا توجد في باكستان من هذا الكتاب إلا أربع نسخ فقط، إحداها

ظفرنا بها في دار الحديث المحمدية بجلال بورفيروالا، واستحصلنا عليها من فضيلة الأستاذ شيخ الحديث محمد رفيق الأثري، فأشكره شكراً جما حيث تكرم بإعطائي هذه النسخة القيمة بطيب خاطر منه، ولكن مع مرور مائة عام على هذه النسخة قد صارت أوراقها بالية جداً حتى خفت عليها أن يحدث بها أي خلل أو عيب، فلأجل ذلك عينت لجنة ممن كانوا هنالك من أهل الاختصاص، تحت إشراف فضيلة الشيخ المذكور.

وقد كانت المقابلة بطبعة المكتبة السلفية وطبعة بولاق، بدمشق - الشام - وبها كان التصحيح الأول والثاني والأخير، حيث قابل المطبوعة السلفية لصحيح البخاري بمطبعة بولاق الأستاذ محمود بن محمد الموصلي، وقابل الفتح هو والأستاذ جمال الشقيري ومحمد أسامة طباع، هذا بالنسبة للمرة الأخيرة، أما تصحيح مطبوعتنا ومقابلتها بالطبعة السلفية التي كان العمل عليها في أول الأمر فقام به الإخوة المذكورون مع آخرين غيرهم.

وهكذا ببذل جهد جبار واستغراق وقت طويل تم هذا العمل الجليل في ثلاث مراحل: المرحلة الأولى بالطبعة السلفية، والثانية بالنسخة الأنصارية، ثم التي انتهينا إليها هي مقارنتها مع الطبعة الأميرية - كما أجملنا فيما أسلفنا - وذلك زيادة في العناية بالكتابة وإكمالاً للفائدة وبلوغاً إلى الغرض النبيل، والحمد في ذلك كل لله سبحانه وتعالى.

عملنا في هذه الطبعة:

- تصحيح أخطاء الطباعة الواقعة في الطبعات السالفة.
- الحفاظ على ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي لصحيح البخاري.
- وقد قمنا بوضع مقاس لأطراف الأحاديث المرفوعة والموقوفة وفهرس للصحابة مع مروياتهم.
- مقابلة نسخة صحيح البخاري المعتمدة في الطبعة السلفية بالنسختين السالفتين: الأنصارية والبولاقية، وإثبات أدق الفروق بين النسخ الثلاث - أسوة بالنسخة المطبوعة عن النسخة اليونينية من صحيح البخاري، قد استعنا بها في أحيان قليلة - إلا فرقاً اتضح لنا بالدليل القاطع أنه من أخطاء الطباعة فأثبتنا الصواب دون إشارة إلى محله.
- مقابلة مطبوعنا من الفتح بالطبعات الثلاث السالفة الذكر مع إثبات الفروق بينها، إلا ما كان من قبيل أخطاء الطباعة، فأي اختلاف أو فرق في العبارات يوجد توضيحه في

الحواشي، وقد رمزنا لذلك إلى طبعة الهند بمطبعة الأنصاري بالحرف (ص) وإلى الطبعة الأميرية ببولاق بالحرف (ق).

قمنا بوضع فهرس ألفبائي بأسماء جميع كتب صحيح البخاري في بداية كل جزء من الأجزاء، وقمنا بوضع أسماء الكتب وأرقامها لكل مجلد على الغلاف الخارجي.

واعلم أن نسخة صحيح البخاري المعتمدة في الطبعة السلفية ليست هي المعتمدة في سابقتيها بل بين كل من النسخ الثلاث بعض الخلاف يراه الناظر في طبعتنا هذه، وهي مخالفة أيضاً للنسخة التي شرح عليها ابن حجر، أما الفروق بين طبعات فتح الباري المذكورة آنفاً فهي فروق قليلة، لاحظنا فيها زيادات قليلة في طبعة الهند، وقد أثبتنا بعد هذه الكلمة صوراً لبعض الصفحات من طبعات فتح الباري المعتمدة في التصحيح.

وبعد، فهذا عمل قام على إخراجه البشر فبذلنا فيه من الطاقة والجهد ما أوتينا، سعياً بالكتاب إلى الكمال - وأنى للبشر بالكمال - ولكن نرجو أن تكون طبعتنا هذه حظيت بمزيد من العناية والاهتمام فلعلها أدنى إلى الكمال، ونرجو ممن يجد في طبعتنا هذه أي خطأ ند عن نظر المصححين أن يصححه وينبهنا عليه، لتصحيحه في طبعة قادمة - إن شاء الله تعالى -.

ولن أنسى في هذه الكلمة تسجيل شكري الجزيل لفضيلة الشيخ محمد رفيق الأثري وللذين قاموا بهذا العمل العظيم من علماء أهل الحديث تحت إشرافه، كما أشكر حافظ عبد العظيم أسد - مدير فرع مكتبة دار السلام بلاهور - الذي بذل جهده في إنجاز هذا العمل العظيم.

وأخيراً أكرر الشكر للمشاركين - ممن تقدم بخدماته في تخطيطه وتنفيذه إلى الإكمال - كل من الأستاذ جمال الشقيري، ومحمود بن محمد الموصلي، ومحمد أسامة طباع، وكما أتقدم بالشكر الجزيل لفضيلة الشيخ أبي الأشبال صغير أحمد - حفظه الله - ولكل من ساهم في إخراج هذا العمل المبارك.

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه وجزاهم جزاءاً حسناً إلى يوم نلقاه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عبد المالك مجاهد

المدير المسؤول

بدار السلام للنشر والتوزيع

(الجزء الاول)
من فتح الباري بشرح صحيح الامام أبي
عبد الله محمد بن اسمعيل البخاري لشيخ الاسلام
قاضي القضاة الحافظ أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن
علي بن محمد بن محمد بن حجر العسقلاني
الشافعي نزيل القاهرة المحروسة
نفعنا الله
بعلومه
آمين

(وبهامشه متن الجامع الصحيح للامام البخاري)

(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة الكبرى الميرية ببولاق مصر المحمية)
(سنة ١٣٠٠ هجريه)

صفحة العنوان من الطبعة الأميرية

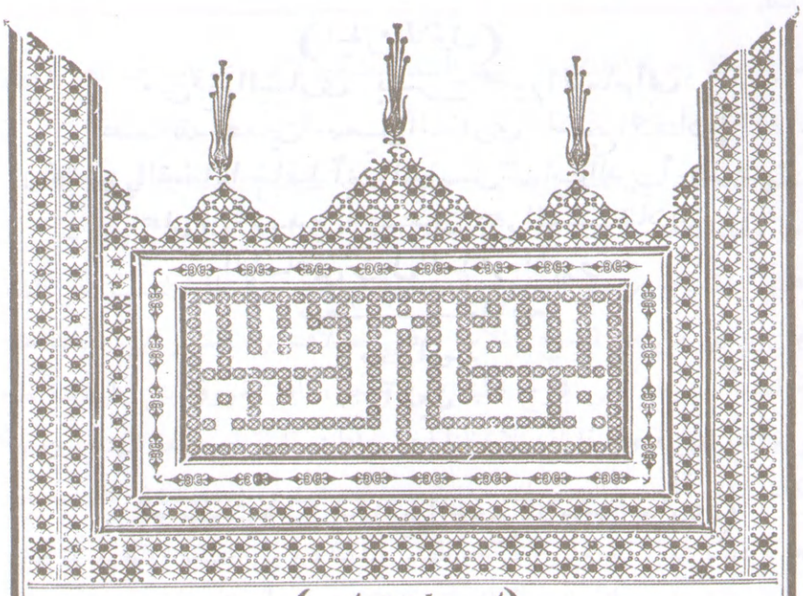

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذى شرح صدور أهل الاسلام بالهدى ونكت فى قلوب أهل الطغيان فلا تعى الحكمة أبدا وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الها أحد افردا صمدا وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ما أكرمه عبدا وسيدا وأعظمه أصلا ومحتدا وأطهره مضجعا ومولدا وأبهره صدرا وموردا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه غيوث الندى وليوث العدا صلاة وسلاما دائمين من اليوم الى أن يبعث الناس غدا *(أما بعد)* فقد آن الشروع فيما قصدت له من شرح الجامع الصحيح على ما وعدت به فى أول المقدمة وكنت عزمت على ان أسوق حديث الباب بلفظه قبل شرحه ثم رأيت ذلك مما يطول به الكتاب جدا فسلكت الآن فيه طريقا وسطى أرجو نفعها كافلة بما اطلعت عليه من ذلك اذ لا يكلف الله نفسا الا وسعها وربما أعدت شيأ مما تقدم فى المقدمة لمعنى يقتضيه اما لبعد العهد به أو لغير ذلك ولكن اعتمادى غالبا على الحوالة عليها (وسميته فتح البارى بشرح البخارى) وقد رأيت ان أبدأ الشرح باسانيدى الى الاصل بالسماع أو بالاجازة وان أسوقها على نمط مخترع فانى سمعت بعض الفضلاء يقول الاسانيد انساب الكتب فاحببت ان أسوق هذه الاسانيد مساق الانساب (فأقول) وبالله التوفيق اتصلت لنا رواية البخارى عنه من طريق أبى عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر الفربرى وكانت وفاته فى سنة عشرين وثلثمائة وكان سماعه للصحيح مرتين مرة بفربر سنة ثمان وأربعين ومرة ببخارى سنة اثنتين وخمسين ومائتين ومن طريق ابراهيم بن معقل بن الحجاج النسفى وكان من الحفاظ وله تصانيف وكانت وفاته سنة أربع وتسعين ومائتين وكان

فانه

من رام يقفو سنى علاها * لمطلع الشمس كيف يصعد
رقيقة النظم ذات لفظ * حر ومعنى بكم مولد
حررها فى علاك مولى * عتاقة بالولا تعبد
أمسك فضل العنان لما * زادت معانيكم على العد
ولو أطال المديح جاءت * وحق عليالك فى مجالد
طوقته بالندى فقل فى * مطوق فى الرياض غرد
ورشت منه الجناح حتى * حلق نحو العلا وصعد
وحق رب السما ومولى * يخشى لكل الورى ويعبد
مالى الى غيرك التفات * كلا ولا عن جنابك مقصد
قيدتنى بالندى فقم * واكتب على قيدى الخلد
وكم يد قد أنلت حتى * سلبت منى الفؤاد باليد
هذا هو الفضل بل أبوه * أنت وهذا العمر لك الجد
لازلت مستعصما أمينا * مستنصرا هاديا لمهتد
مستظهرا واثقا رشيدا * موفقا طاهرا مؤيد
يحفك البدر فى كمال * بخير ما طالع وأسعد

هذا آخر ما وقفنا عليه من المدائح وقد أحببت ان أختم هذه الكتابة بدعاء شريف نقلته من طهارة القلوب لسيدى الولى العارف بالله عبد العزيز الدبرينى نفعنا الله ببركته وبركة علومه الهى لو أردت اهانتنا لم تهدنا ولو أردت فضيحتنا لم تسترنا فتمم اللهم ما به بدأتنا ولا تسلبنا ما به أكرمتنا الهى عرفتنا بربوبيتك وغرقتنا فى بحار نعمتك ودعوتنا الى دار قدسك ونعمتنا بذكرك وأنسك الهى ان ظلمة ظلمنا لأنفسنا قد عمت وبحار الغفلة على قلوبنا قد طمت فالعجز شامل والحصر حاصل والتسليم أسلم وأنت بالحال أعلم الهى ما عصيناك جهلا بعقابك ولا تعرضا لعذابك ولا استخفافا بنظرك ولكن سولت لنا أنفسنا وأعاننا شقوتنا وغرتنا ستر ك علينا وأطمعنا فى عفوك بر ك بنا فالآن من عذابك من يستنقذنا وبحبل من نعتصم ان أنت قطعت حبلك عنا واخجلتنا من الوقوف غدا بين يديك وافضيحتنا اذا عرضت أعمالنا القبيحة عليك اللهم اغفر ما علمت ولا تهتك ما سترت الهى ان كنا قد عصيناك بجهل فقد دعونا لك بعقل حيث علمنا ان النار بأيغفر ولا يبالى الهى أنت أعلم بالحال والشكوى وأنت قادر على كشف البلوى اللهم يا من سترت الزلات وغفرت السيآت أجرنا من مكرك ووفقنا لشكرك الهى أتحرق بالنار وجها كان لك مصليا ولسانا كان لك ذاكرا أو داعيا لا بالذى دلنا عليك ورغبنا فيما لديك وأمرنا بالخضوع بين يديك وهو محمد خاتم انبيائك وسيد أصفيائك فان حقه علينا اعظم الحقوق بعد حقك كما أن منزلته أشرف منازل خلقك وصل وسلم يا رب على سيدنا محمد وآله وصحبه وجميع الانبياء والمرسلين وارحم عبادا غرهم طول امهالك وأطمعهم كثرة افضالك وذلوا لعزك وجلالك ومدوا أكفهم لطلب نوالك ولولا هدايتك لم يصلوا الى ذلك

*(يقول

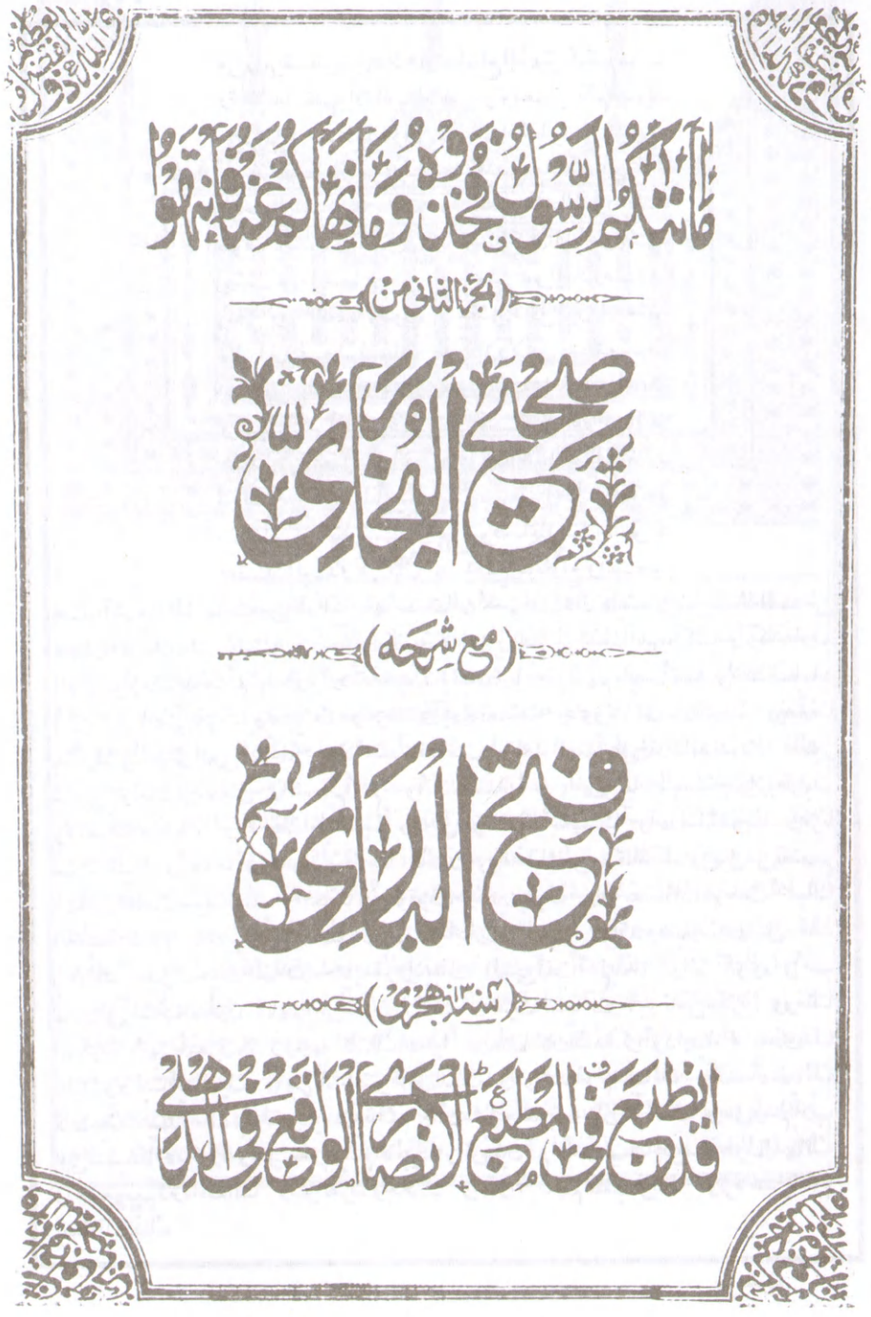

صفحة العنوان من الجزء الثاني للطبعة الأنصارية

صفحة العنوان من الجزء الأخير للطبعة الأنصارية

ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا

الجزء الثلاثون من

صحيح البخاري

مع شرحه

فتح الباري

طبع في المطبع الأنصاري الكائن ببلدة الدهلي بإدارة

المولوي عبد الحميد الدهلوي

سنة ١٣١٨ هجري

الصفحة الأخيرة من الطبعة الأنصارية

فتح الباري

بشرح

صحيح البخاري

للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني

٧٧٣ - ٨٥٢ هـ

وأصله تصحيحاً وتحقيقاً

وأشرف على مقابلة نسخه المطبوعة والمخطوطة

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الأستاذ بكلية الشريعة بالرياض

رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه

محمد فؤاد عبد الباقي

قام بإخراجه وتصحيحه وأشرف على طبعه

محب الدين الخطيب

الجزء الأول

صفحة العنوان من الطبعة السلفية

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - كتاب بدء الوحى

قال الشيخُ الإمامُ الحافظُ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ إسْمٰعيلَ بنِ إبراهيمَ بنِ المُغيرَةِ البُخارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ آمين

١ - باب كيف كان بدء الوَحْيِ إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ

وقَوْلِ اللهِ جَلَّ ذِكرُه ﴿ إنّا أوحَينا إليكَ كما أوْحَينا إلى نُوحٍ والنَّبيِّينَ مِنْ بَعْدِه ﴾

قال البخارى رحمه الله تعالى ورضى الله عنه : (بسم الله الرحمن الرحيم . كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله ﷺ) هكذا فى رواية أبى ذر والأصيلى بغير « باب » وثبت فى رواية غيرهما ، فحكى عياض ومن تبعه فيه التنوين وتركه ، وقال الكرمانى : يجوز فيه الإسكان على سبيل التعداد للأبواب . فلا يكون له إعراب . وقد اعترض على المصنف لكونه لم يفتتح الكتاب بخطبة تنبىء عن مقصوده مفتتحة بالحمد والشهادة امتثالا لقوله ﷺ « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع » وقوله « كل خطبة ليس فيها شهادة فهى كاليد الجذماء » أخرجهما أبو داود وغيره من حديث أبى هريرة . والجواب عن الأول أن الخطبة لا يتحتم فيها سياق واحد يمتنع العدول عنه ، بل الغرض منها الافتتاح بما يدل على المقصود ، وقد صدر الكتاب بترجمة بدء الوحى وبالحديث الدال على مقصوده المشتمل على أن العمل دائر مع النية ، فكأنه يقول : قصدت جمع وحى السنة المتلقى عن خير البرية على وجه سيظهر حسن عملى فيه من قصدى ، وإنما لكل امرىء ما نوى ، فاكتفى بالتلويح عن التصريح . وقد سلك هذه الطريقة فى معظم تراجم هذا الكتاب على ما سيظهر بالاستقراء . والجواب عن الثانى أن الحديثين ليسا على شرطه ، بل فى كل منهما مقال . سلمنا صلاحيتهما للحجة لكن ليس فيهما أن ذلك يتعين بالنطق والكتابة معا ، فلعله حمد وتشهد نطقا عند وضع الكتاب ولم يكتب ذلك اقتصارا على البسملة لأن القدر الذى يجمع الأمور الثلاثة ذكر الله وقد حصل بها ، ويؤيده أن أول شىء نزل من القرآن ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ فطريق التأسى به الافتتاح بالبسملة والاقتصار عليها ، لا سيما وحكاية ذلك من جملة ما تضمنه هذا الباب الأول ، بل هو المقصود بالذات من أحاديثه . ويؤيده أيضا وقوع كتب رسول الله ﷺ إلى الملوك وكتبه فى القضايا مفتتحة بالتسمية دون حمدلة وغيرها كما سيأتى فى حديث أبى سفيان فى قصة هرقل فى هذا الباب ، وكما سيأتى فى حديث البراء فى قصة سهيل بن عمرو فى صلح الحديبية ، وغير ذلك من الأحاديث . وهذا يشعر بأن لفظ الحمد والشهادة إنما يحتاج إليه فى الخطب دون الرسائل والوثائق ، فكأن المصنف لما لم يفتتح كتابه بخطبة أجراه مجرى الرسائل إلى أهل العلم ليتنفعوا بما فيه تعلما وتعليما . وقد أجاب من شرح هذا الكتاب بأجوبة أخر فيها نظر ، منها أنه تعارض عنده الابتداء بالتسمية والحمدلة ، فلو ابتدأ بالحمدلة لخالف العادة ، أو بالتسمية لم يعد مبتدئا بالحمدلة فاكتفى بالتسمية . وتعقب بأنه لو جمع بينهما لكان مبتدئا بالحمدلة بالنسبة إلى ما بعد التسمية ، وهذه هى النكتة فى حذف العاطف فيكون أولى لموافقته الكتاب العزيز ، فان الصحابة افتتحوا كتابة الإمام الكبير بالتسمية والحمدلة وتلوها ، وتبعهم جميع من كتب المصحف بعدهم فى جميع الأمصار ، من يقول بان البسملة آية من أول الفاتحة ، ومن لا يقول ذلك . ومنها أنه راعى قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله ﴾ فلم يقدم على كلام الله ورسوله شيئا واكتفى بها عن كلام نفسه ، وتعقب بانه كان يمكنه أن يأتى بلفظ الحمد من كلام الله تعالى ، وأيضا فقد قدم الترجمة وهى من كلامه على الآية ، وكذا ساق السند قبل لفظ الحديث ، والجواب عن ذلك بان الترجمة والسند وإن كانا متقدمين لفظا لكنهما متاخران تقديرا فيه نظر .

سيرة موجزة عن الإمام الحافظ ابن حجر

(٧٧٣ هـ - ٨٥٢ م)

هو أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر الكناني العسقلاني الأصل المصري المولد والمنشأ والوفاة الشافعي، قاضي القضاة وشيخ الإسلام وأمير المؤمنين في الحديث.

وصفه تلميذه ابن تغري بردي بقوله: «وكان عفا الله عنه ذا شيبة نيرة ووقار وأبهة ومهابة مع ما احتوى عليه من العقل والحلم والسكون والسياسة بالأحكام ومداراة الناس». وقال تلميذه البقاعي: «وهو أعجوبة في سرعة الفهم وفي غاية الحفظ إنه في حسن التصور له حدس يُظن أنه الكشف، وفكر كأن رقته خفي اللطف، وتأمل يرفع الأستار عن غوامض الأسرار، وصبر متين وجلد مبين، وقلب على نوب الأيام ثابت».

ويضيف محدث الحجاز نجم الدين بن فهد بقوله: كان محققاً فصيحاً شديد الذكاء المفرط حسن التعبير لطيف المحاضرة حسن الأخلاق متين الديانة ولسان الحال يقول:

هيهات أن يأتي الزمان بمثله ... إن الزمان بمثله لبخيل

من شيوخه:

لقد طوَّف ابن حجر ورحل إلى كثير من الأقطار واجتمع بفحول الرجال وخُصَّ بأساتذة كبار أخلصوا في تعليمه وتوجيهه. فمن شيوخه الإمام البلقيني المشهور في سعة الحفظ وكثرة الاطلاع، وابن الملقِّن في كثرة التصانيف، والعراقي في معرفة علم الحديث ومتعلقاته، والهيثمي في حفظ المتون واستحضارها، والفيروزأبادي في حفظ اللغة واطلاعه عليها، والغماري في معرفة العربية، وكذا المحب ابن هشام، والعز ابن جماعة في تفننه في علوم كثيرة، والتنوخي في معرفة القراءات وعلو السند فيها.

وشيوخه كثيرون جداً جمعهم ابن حجر في كتاب جليل هو «المجمع المؤسَّس للمعجم المفهرس».

فبهمته الوافرة ونشاطه الموصول وذكائه الوقاد وحافظته الواعية وفهمه الثاقب الخارق استوعب كماً هائلاً مما عند هؤلاء العلماء في كل فن أجادوه حتى سارت بذكره الركبان وتحدث باسمه كل لسان وازدانت المراجع بتقريراته وتحقيقاته، والمكاتب بتآليفه ومصنفاته.

فابن حجر هو **أولاً لغوي ونحوي وأديب**، ففي قصيدة يمدح بها النبي ﷺ:

هو رحمة للناس مهداة فيا ... ويح المعاند إنه لا يُرحمُ
نال الأمانَ المؤمنون به إذا ... مشيت وقوداً بالطغاة جهنم
الله أيده فليس عن الهوى ... في أمره أو نهيه يتكلم
فليحذر المرء المخالف أمره ... من فتنة أو من عذاب يؤلم
زد المعجزات الباهرات فسل بها ... نُطقَ الحصا وبهائماً قد تكلموا

وأما في النحو فنجد طول باعه وسعة اطلاعه وقوة حجته على حل الإشكالات النحوية، أو الاستشهاد بالآية والحديث، أو الرد على كبار أئمة النحو، وقد قيل عنه:

ورُضْتَ جماح النحو حتى ملكته ... وأصبحت فيه مالكاً وابن مالك

وهو ثانياً مؤرخ: حبب إليه النظر في التواريخ وأيام الناس ووقائع الأحداث وأحوال الرواة فيجيل ناظريه فيها ويعمل فكره، فعلق بذهنه الصافي الرائق شيء كثير من ذلك.

وهو ثالثاً مفسر: اهتم بكتاب الله حفظاً وفهماً ومعرفة بالقراءات ثم اشتغل بعلوم القرآن وتفسيره ومعرفة ناسخه من منسوخه ومطلقه من مقيده وعامّه من خاصه، وهو يعتبر آية من آيات الله تعالى في التفسير.

وهو رابعاً فقيه: وفقهه على طريقة فريدة تجمع بين الحديث وفقهه وهذان العلمان قل أن يجتمعا في شخص، فابن حجر قد حاز السبق في الحديث وضم إليه فقه الحديث فكانت عنده القدرة على الاستنباط من النص، والجمع بين الأشباه والتأليف بين النظائر. فهو يعتبر بحق محدث الفقهاء وفقيه المحدثين في عصره.

وهو خامساً محدث: فلقد كان نادرة النوادر في علم الحديث رواية ودراية فنبغ في معرفة علل الحديث ونقد الأسانيد وأسماء الرجال وأحوال الرواة والجرح والتعديل حتى حاز السبق في مختلف فنون الحديث فصار علم الأعلام وفريد دهره وعصره ونسيج وحده وعمدة من جاء بعده.

قال الحافظ تاج الدين ابن الغرابيلي: «أقسم بالله أنه ما دخل دمشق بعد ابن عساكر أحفظ منه» وكان يرجحه على المزي والبرزالي والذهبي ويقول: «إنه اجتمع فيه ما تفرق فيهم من حسن التأليف وحفظ المتون والأسانيد وزاد عليهم قوة الاستنباط والجمع بين مختلف الأدلة».

من تلاميذه:

١ـ الحافظ السخاوي (٨٣١ ـ ٩٠٢ هـ) وهو من أكابر العلماء ومؤرخ حجة وعلامة في الحديث ورجاله، والتفسير والفقه واللغة والأدب انتهى إليه علم الجرح والتعديل.

ومن مصنفاته ـ فتح المغيث في شرح ألفية الحديث العراقي ـ شرح التقريب للنووي ـ المقاصد الحسنة ـ شرح الشمائل للترمذي وغيرها.

٢ـ زكريا الأنصاري (٨٢٦ ـ ٩٢٦ هـ) شيخ الإسلام وقاضي القضاة، من حفاظ الحديث: وهو مفسر وفقيه وله باع في القراءات والتصوف والنحو والمنطق.

ومن مصنفاته ـ فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن ـ تحفة الباري على صحيح البخاري ـ شرح شذور الذهب في النحو ـ غاية الوصول في أصول الفقه ـ أسنى المطالب في شرح روض الطالب في الفقه ـ وغيرها كثير.

٣ـ الكمال ابن الهمام (٧٩٠ـ ٨٦١ هـ) عالم مشارك في الفقه والأصول والتفسير والفرائض والتصوف والنحو والصرف وغير ذلك. ومن تصانيفه ـ فتح القدير في شرح الهداية في الفقه الحنفي ـ التحرير في أصول الفقه ـ زاد الفقير مختصر في فروع الحنفية وغير ذلك كثير.

٤ـ ابن تغري بردي (٨١٣ ـ ٨٧٤ هـ) وهو إمام علامة مؤرخ، من مؤلفاته المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور وغيرها كثير.

٥ـ أبو الفضل ابن الشحنة (٨٠٤ ـ ٨٩٠ هـ) وهو فقيه أصولي محدث وأديب مؤرخ. من تصانيفه ـ طبقات الحنفية ـ نهاية النهاية في شرح الهداية.

مصنفات ابن حجر :

وقد أوصلها السخاوي في «الجواهر والدرر» إلى ٢٧٠ مصنفاً وعد منها السيوطي في «نظم العقيان» ١٩٨ مصنفاً، والبقاعي ١٤٢ كتاباً وحاجي خليفة في «كشف الظنون» زهاء ١٠٠ مصنف.

ففي العقيدة ألف :

١ـ الآيات النيرات في معرفة الخوارق والمعجزات.
٢ـ البحث عن أحوال البعث.

وفي علوم القرآن ألف :

١ـ الاتقان في جمع أحاديث فضائل القرآن.
٢ـ الأحكام لبيان ما وقع في القراءات من الإبهام.

وفي علوم الحديث ألف :

١ـ الأبدال الصفيات من الثقفيات.
٢ـ إتحاف المهرة بأطراف العشرة.
٣ـ الاستدراك على الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء.
٤ـ الإستدراك على «نكت ابن الصلاح» لشيخه العراقي.
٥ـ أطراف الصحيحين على الأبواب والمسانيد.
٦ـ أطراف الفردوس للديلمي
٧ـ أفراد مسلم عن البخاري.
٨ـ الانتفاع بترتيب الدارقطني على الأنواع.
٩ـ ترتيب العلل على الأنواع.
١٠ـ تغليق التعليق وهو يبين ما يحتاجه الباحث من شرح الجامع الصحيح للبخاري، وقد اعتمد ابن حجر في تصنيفه لهذا الكتاب على قرابة ٣٥٠ مصنفاً.
١١ـ تقريب التهذيب. اختصره من كتابه تهذيب التهذيب وهو من كتاب تهذيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ المقدسي.

١٢ـ أما كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري: فقد أحاط ابن حجر بأحاديثه وأجاب عن الإشكالات الواردة في الأسانيد والرجال، وبين خفايا علم الرجال ودرجاتهم من حيث الجرح والتعديل وتكلم على التراجم بكلام دقيق، وبحث في الخلافيات الفقهية مع التفريع على المسألة الفقهية إن لزم الأمر. واستغرق تصنيفه لفتح الباري ما يقارب ٢٥ عاماً.

ومن مصنفاته في التاريخ والتراجم والسير :

١ـ كتاب الإصابة في تمييز الصحابة وهو يقع في أربعة مجلدات ضخمة وبلغت مجموع التراجم فيه ١٢٢٩٧ نفساً.
٢ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة.

ومن مصنفاته في اللغة :

١ـ كتاب الأصلح في إمامة الأفصح.
٢ـ بلوغ المرام من أدلة الأحكام.

والذي ذكر من المصنفات لا يشكل إلا اليسير من هذا العدد الضخم من المصنفات والمجلدات التي تدعو الإنسان للتأمل والإيجاب والتقدير والاحترام بأن الله سبحانه قد بارك لهذا العالم الفذ في أوقاته وفي عمره وجوارحه فجادت بمثل هذا التراث الهائل والتآليف الكثيرة التي يضيق وقت كثيرين في هذا العصر عن قراءتها فضلاً عن مثلها في علوم شتى.

يقول العلامة الفقيه الشوكاني عنه: «هو الحافظ الكبير الإمام المتفرد بمعرفة الحديث وعلله في الأزمنة المتأخرة، وشهد له بالحفظ والاتقان القريب والبعيد، والعدو والصديق حتى صار اطلاق لفظ «الحافظ» عليه كلمة إجماع، ورحل الطلبة إليه من الأقطار، وطارت مؤلفاته في حياته وانتشرت في البلاد».

رحم الله ابن حجر وأعلى درجاته، ونفع به المسلمين آمين والحمد لله رب العالمين.

* * *

[خطبة الشارح]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي شرح صدور أهل الإسلام بالهدى، ونكت في قلوب أهل الطغيان فلا تعي الحكمة أبداً. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهاً أحداً فرداً صمداً. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ما أكرمه عبداً وسيدا، وأعظمه أصلاً ومحتدا، وأطهره مضجعاً ومولدا، وأبهره صدراً وموردا. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه غيوث الندى، وليوث العدا، صلاة وسلاماً دائمين من اليوم إلى أن يبعث الناس غدا.

أما بعد فقد آن الشروع فيما قصدت له من شرح الجامع الصحيح، على ما وعدت به في أول المقدمة[١]، وكنت عزمت على أن أسوق حديث الباب بلفظه قبل شرحه، ثم رأيت ذلك مما يطول به الكتاب جداً[٢] فسلكت الآن فيه طريقاً وسطى أرجو نفعها، كافلة بما اطلعت عليه من ذلك، إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها. وربما أعدت شيئاً مما تقدم في المقدمة[١] لمعنى يقتضيه، إما لبعد العهد به أو لغير ذلك، ولكن اعتمادي غالباً على الحوالة عليها، وسميته:

فتح الباري، بشرح البخاري

وقد رأيت أن أبدأ الشرح بأسانيدي إلى الأصل بالسماع أو بالإجازة، وأن أسوقها على نمط مخترع، فإني سمعت بعض الفضلاء يقول: الأسانيد أنساب الكتب، فأحببت أن أسوق هذه الأسانيد مساق الأنساب فأقول وبالله التوفيق:

---

(١) يعني كتابه (هدي الساري، بفتح الباري).

(٢) ونحن قد حققنا ذلك في هذه الطبعة. فسقنا حديث الباب بلفظه قبل شرحه ليكون ذلك أعون على فهم الشرح والإلمام بمراميه، وأشرنا بالأرقام إلى أطراف كل حديث، وهي أجزاؤه المتفرقة في مواضع أخرى من صحيح البخاري.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ـ كتاب بدء الوحي

قال الشيخُ الإمامُ الحافِظُ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ إسْمَاعِيلَ بن إبراهيمَ بنِ المُغِيرَةِ البُخارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى آمين

١ـ باب[1] كيف كان بدءُ الوَحْي إلى رسولِ اللهِ ﷺ

وقَولِ اللهِ جَلَّ ذِكرهُ: ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣]

قال البخاري رحمه الله تعالى ورضي الله عنه: (بسم الله الرحمن الرحيم. كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ) هكذا في رواية أبي ذر والأصيلي بغير «باب» وثبت في رواية غيرهما، فحكى عياض ومن تبعه فيه التنوين وتركه، وقال الكرماني: يجوز فيه الإسكان على سبيل التعداد للأبواب. فلا يكون له إعراب. وقد اعترض على المصنف لكونه لم يفتتح الكتاب بخطبة تنبىء عن مقصوده مفتتحة بالحمد والشهادة امتثالاً لقوله ﷺ: «**كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع**» وقوله: «**كل خطبة ليس فيها شهادة فهي كاليد الجذماء**» أخرجهما أبو داود وغيره من حديث أبي هريرة. والجواب عن الأول أن الخطبة لا يتحتم فيها سياق واحد يمتنع العدول عنه، بل الغرض منها الافتتاح بما يدل على المقصود، وقد صدر الكتاب بترجمة بدء الوحي وبالحديث الدال على مقصوده المشتمل على أن العمل دائر مع النية، فكأنه يقول: قصدت جمع وحي السنة المتلقى عن خير البرية على وجه سيظهر حسن عملي فيه من قصدي، وإنما لكل امرىء ما نوى، فاكتفى بالتلويح عن التصريح. وقد سلك هذه الطريقة في معظم تراجم هذا الكتاب على ما سيظهر بالاستقراء. والجواب عن الثاني أن الحديثين ليسا على شرطه، بل في كل منهما مقال. سلمنا صلاحيتهما للحجة لكن ليس فيهما أن ذلك يتعين بالنطق

(١) ليس في نسخة «ق»: باب.

والكتابة معاً، فلعله حمد وتشهد نطقاً عند وضع الكتاب ولم يكتب ذلك اقتصاراً على البسملة لأن القدر الذي يجمع الأمور الثلاثة ذكر الله وقد حصل بها، ويؤيده أن أول شيء نزل من القرآن: ﴿**اقرأ باسم ربك**﴾ فطريق التأسي به الافتتاح بالبسملة والاقتصار عليها، لاسيما وحكاية ذلك من جملة ما تضمنه هذا الباب الأول، بل هو المقصود بالذات من أحاديثه. ويؤيده أيضاً وقوع كتب رسول الله ﷺ إلى الملوك وكتبه في القضايا مفتتحة بالتسمية دون حمدلة وغيرها كما سيأتي في حديث أبي سفيان في قصة هرقل في هذا الباب، وكما سيأتي في حديث البراء في قصة سهيل بن عمرو في صلح الحديبية، وغير ذلك من الأحاديث. وهذا يشعر بأن لفظ الحمد والشهادة إنما يحتاج إليه في الخطب دون الرسائل والوثائق، فكأن المصنف لما لم يفتتح كتابه بخطبة أجراه مجرى الرسائل إلى أهل العلم لينتفعوا بما فيه تعلماً وتعليماً. وقد أجاب من شرح هذا الكتاب بأجوبة أخر فيها نظر، منها أنه تعارض عنده الابتداء بالتسمية والحمدلة، فلو ابتدأ بالحمدلة لخالف العادة، أو بالتسمية لم يعد مبتدئاً بالحمدلة فاكتفى بالتسمية. وتعقب بأنه لو جمع بينهما لكان مبتدئاً بالحمدلة بالنسبة إلى ما بعد التسمية، وهذه هي النكتة في حذف العاطف فيكون أولى لموافقته الكتاب العزيز، فإن الصحابة افتتحوا كتابة الإمام الكبير بالتسمية والحمدلة وتلوها. وتبعهم جميع من كتب المصحف بعدهم في جميع الأمصار، من يقول بأن البسملة آية من أول الفاتحة، ومن لا يقول ذلك. ومنها أنه راعى قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله**﴾ فلم يقدم على كلام الله ورسوله شيئاً واكتفى بها عن كلام نفسه، وتعقب بأنه كان يمكنه أن يأتي بلفظ الحمد من كلام الله تعالى، وأيضاً فقد قدم الترجمة وهي من كلامه على الآية، وكذا ساق السند قبل لفظ الحديث، والجواب عن ذلك بأن الترجمة والسند وإن كانا متقدمين لفظاً لكنهما متأخران تقديراً فيه نظر.

وأبعد من ذلك كله قول من ادعى أنه ابتدأ بخطبة[1] فيها حمد وشهادة، فحذفها بعض من حمل عنه الكتاب. وكأن قائل هذا ما رأى تصانيف الأئمة من شيوخ البخاري وشيوخ شيوخه وأهل عصره كمالك في الموطأ وعبد الرزاق في المصنف وأحمد في المسند وأبي داود في السنن إلى ما لا يحصى ممن لم يقدم في ابتداء تصنيفه خطبة[2]، ولم يزد على التسمية، وهم الأكثر، والقليل منهم من افتتح كتابه بخطبة، أفيقال في كل من هؤلاء إن الرواة عنه حذفوا ذلك؟ كلا بل يحمل ذلك من صنيعهم على أنهم حمدوا لفظاً. ويؤيده ما رواه الخطيب في الجامع عن أحمد أنه كان يتلفظ بالصلاة على النبي ﷺ إذا كتب الحديث ولا يكتبها، والحامل له على ذلك إسراع أو غيره، أو يحمل على أنهم رأوا ذلك مختصاً بالخطب دون الكتب كما تقدم، ولهذا من افتتح كتابه منهم بخطبة حمد وتشهد كما صنع مسلم، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب. وقد استقر عمل الأئمة المصنفين على افتتاح كتب العلم بالبسملة وكذا معظم كتب الرسائل، واختلف القدماء فيما إذا كان الكتاب كله شعراً فجاء عن الشعبي منع ذلك، وعن الزهري قال: مضت السنة أن لا يكتب في الشعر بسم الله الرحمن الرحيم، وعن سعيد بن

(١) في نسخة «ق»: الخطبة.
(٢) سقط من نسخة «ق».

جبير جواز ذلك وتابعه على ذلك الجمهور، وقال الخطيب هو المختار.

قوله: (بدء الوحي) قال عياض: روي بالهمز مع سكون الدال من الابتداء، وبغير همز مع ضم الدال وتشديد الواو من الظهور. قلت: ولم أره مضبوطاً في شيء من الروايات التي اتصلت لنا، إلا أنه وقع في بعضها «كيف كان ابتداء الوحي»، فهذا يرجح الأول، وهو الذي سمعناه من أفواه المشايخ. وقد استعمل المصنف هذه العبارة كثيراً، كبدء الحيض وبدء الأذان وبدء الخلق. والوحي لغة الإعلام في خفاء، والوحي أيضاً الكتابة والمكتوب والبعث والإلهام والأمر والإيماء والإشارة والتصويت شيئاً بعد شيء. وقيل: أصله التفهيم، وكل ما دللت به من كلام أو كتابة أو رسالة أو إشارة فهو وحي. وشرعا الإعلام بالشرع. وقد يطلق الوحي ويراد به اسم المفعول منه أي الموحى، وهو كلام الله المنزل على النبي ﷺ. وقد اعترض محمد بن إسمعيل التيمي على هذه الترجمة فقال: لو قال كيف كان الوحي لكان أحسن، لأنه تعرض فيه لبيان كيفية الوحي، لا لبيان كيفية بدء الوحي فقط. وتعقب بأن المراد من بدء الوحي حاله مع كل ما يتعلق بشأنه، أي تعلق كان. والله أعلم.

قوله: (وقول الله) هو بالرفع على حذف الباب عطفاً على الجملة لأنها في محل رفع، وكذا على تنوين باب. وبالجر عطفاً على كيف وإثبات باب بغير تنوين، والتقدير باب معنى قول الله كذا، أو الاحتجاج بقول الله كذا، ولا يصح تقدير كيفية قول الله لأن كلام الله لا يكيف قاله عياض، ويجوز رفع وقول الله على القطع وغيره.

قوله: (إنا أوحينا إليك.. الآية) قيل قدم ذكر نوح فيها لأنه أول نبي أرسل، أو أول نبي عوقب قومه، فلا يرد كون آدم أول الأنبياء مطلقاً، كما سيأتي بسط القول في ذلك في الكلام على حديث الشفاعة. ومناسبة الآية للترجمة واضح من جهة أن صفة الوحي إلى نبينا ﷺ توافق صفة الوحي إلى من تقدمه من النبيين، ومن جهة أن أول أحوال النبيين في الوحي بالرؤيا، كما رواه أبو نعيم في الدلائل بإسناد حسن عن علقمة بن قيس صاحب ابن مسعود قال: إن أول ما يؤتى به الأنبياء في المنام حتى تهدأ قلوبهم، ثم ينزل الوحي بعد في اليقظة.

١ـ **حدّثنا** الحُمَيْدِيُّ عبدُ اللّهِ بنُ الزُّبَيرِ[١] قال: حدَّثَنا سُفْيَانُ قال:[٢] حدَّثَنا يحيى بنُ سَعيدٍ الأنْصاريُّ قال: أخبرَني محمدُ بنُ إبراهيمَ التَّيْمِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ عَلْقَمَةَ بنَ وقَّاصٍ اللَّيْثيَّ يقولُ: سمعتُ عمرَ بنَ الخَطّابِ رضي اللّهُ عنه على المِنْبَرِ قال: سَمِعْتُ رَسولَ اللّهِ ﷺ يَقولُ: **«إِنَّما الأعْمَالُ بالنِّيات، وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِىءٍ ما نَوَى: فَمَنْ كانتْ هِجْرَتُه إلى دُنْيَا يُصِيبُها، أَوْ إلى امْرَأَةٍ يَنْكِحُها، فَهِجْرَتُه إلى ما هاجَرَ إِلَيه»**.

[الحديث ١ـ أطرافه في: ٥٤، ٢٥٢٩، ٣٨٩٨، ٥٠٧٠، ٦٦٨٩، ٦٩٥٣].

(١) ليس في نسخة «ق»: عبد الله بن الزبير.
(٢) في نسخة «ق»: سفيان عن يحيى.

قوله: (حدثنا الحميدي) هو أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى، منسوب إلى حميد بن أسامة بطن من بني أسد بن عبد العزى بن قصي رهط خديجة زوج النبي ﷺ، يجتمع معها في أسد ويجتمع مع النبي ﷺ في قصي. وهو إمام كبير مصنف، رافق الشافعي في الطلب عن ابن عيينة وطبقته وأخذ عنه الفقه ورحل معه إلى مصر، ورجع بعد وفاته إلى مكة إلى أن مات بها سنة تسع عشرة ومائتين، فكأن البخاري امتثل قوله ﷺ **«قدموا قريشاً»** فافتتح كتابه بالرواية عن الحميدي لكونه أفقه قرشي أخذ عنه، وله مناسبة أخرى لأنه مكي كشيخه فناسب أن يذكر في أول ترجمة بدء الوحي لأن ابتداءه كان بمكة، ومن ثم ثنى بالرواية عن مالك لأنه شيخ أهل المدينة وهي تالية لمكة في نزول الوحي وفي جميع الفضل، ومالك وابن عيينة قرينان، قال الشافعي: لولاهما لذهب العلم من الحجاز.

قوله: (حدثنا سفيان) هو ابن عيينة بن أبي عمران[١] الهلالي أبو محمد المكي، أصله ومولده الكوفة، وقد شارك مالكاً في كثير من شيوخه وعاش بعده عشرين سنة، وكان يذكر أنه سمع من سبعين من التابعين.

قوله: (عن يحيى بن سعيد) في رواية غير أبي ذر: حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري. اسم جده قيس بن عمرو وهو صحابي، ويحيى من صغار التابعين، وشيخه محمد بن ابراهيم بن الحارث بن خالد التيمي من أوساط التابعين، وشيخ محمد علقمة بن وقاص الليثي من كبارهم، ففي الإسناد ثلاثة من التابعين في نسق. وفي المعرفة لابن منده ما ظاهره أن علقمة صحابي، فلو ثبت لكان فيه تابعيان وصحابيان، وعلى رواية أبي ذر يكون قد اجتمع في هذا الإسناد أكثر الصيغ التي يستعملها المحدثون، وهي التحديث والإخبار والسماع والعنعنة والله أعلم. وقد اعترض على المصنف في إدخاله حديث الأعمال هذا في ترجمة بدء الوحي وأنه لا تعلق له به أصلاً، بحيث أن الخطابي في شرحه والإسماعيلي في مستخرجه أخرجاه قبل الترجمة لاعتقادهما أنه إنما أورده للتبرك به فقط، واستصوب أبو القاسم بن منده صنيع الإسماعيلي في ذلك، وقال ابن رشيد: لم يقصد البخاري بإيراده سوى بيان حسن نيته فيه في هذا التأليف، وقد تكلفت مناسبته للترجمة، فقال كل بحسب ما ظهر له. انتهى. وقد قيل: إنه أراد أن يقيمه مقام الخطبة للكتاب، لأن في سياقه أن عمر قاله على المنبر بمحضر الصحابة، فإذا صلح أن يكون في خطبة المنبر صلح أن يكون في خطبة الكتاب. وحكى المهلب أن النبي ﷺ خطب به حين قدم المدينة مهاجراً، فناسب إيراده في بدء الوحي، لأن الأحوال التي كانت قبل الهجرة كانت كالمقدمة لها لأن بالهجرة افتتح الإذن في قتال المشركين، ويعقبه النصر والظفر والفتح انتهى. وهذا وجه حسن، إلا أنني لم أر ما ذكره ـ من كونه ﷺ خطب به أول ما هاجر ـ منقولاً. وقد وقع في باب ترك الحيل بلفظ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يا أيها الناس إنما الأعمال بالنية»** الحديث، ففي هذا إيماء إلى أنه كان في حال الخطبة، أما كونه كان في ابتداء قدومه إلى المدينة فلم أر ما يدل عليه، ولعل قائله استند إلى ما روي في

(١) في نسخة «ق»: عمرو.

٣ـ كتاب العلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ـ باب فضل العِلْم، وقولِ اللّهِ تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١] وقولِهِ عزَّ وجلَّ[1]: ﴿رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

قوله: (كتاب العلم. بسم الله الرحمن الرحيم. باب فضل العلم) هكذا في رواية الأصيلي وكريمة وغيرهما. وفي رواية أبي ذر تقديم البسملة، وقد قدمنا توجيه ذلك في كتاب الإيمان. وليس في رواية المستملي لفظ باب ولا في رواية رفيقه لفظ كتاب العلم.

ـ فائدة: قال القاضي أبو بكر بن العربي: بدأ المصنف بالنظر في فضل العلم قبل النظر في حقيقته، وذلك لاعتقاده أنه في نهاية الوضوح فلا يحتاج إلى تعريف، أو لأن النظر في حقائق الأشياء ليس في فن الكتاب، وكل من القدرين ظاهر، لأن البخاري لم يضع كتابه لحدود الحقائق وتصورها، بل هو جار على أساليب العرب القديمة فإنهم يبدؤون بفضيلة المطلوب للتشويق إليه إذا كانت حقيقته مكشوفة معلومة. وقد أنكر ابن العربي في شرح الترمذي على من تصدى لتعريف العلم وقال: هو أبين من أن يبين. قلت: وهذه طريقة الغزالي وشيخه الإمام أن العلم لا يحد لوضوحه أو لعسره.

قوله: (وقول الله عز وجل) ضبطناه في الأصول بالرفع عطفاً على كتاب أو على الاستئناف.

قوله: (﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾) قيل في تفسيرها: يرفع الله المؤمن العالم على المؤمن غير العالم. ورفعة الدرجات تدل على الفضل، إذ المراد به كثرة الثواب، وبها ترتفع الدرجات، ورفعتها تشمل المعنوية في الدنيا بعلو المنزلة وحسن الصيت، والحسية في الآخرة بعلو المنزلة في الجنة. وفي صحيح مسلم عن نافع بن عبد الحارث الخزاعي ـ وكان عامل عمر على مكة ـ أنه لقيه بعسفان فقال له: من استخلفت؟ فقال:

(١) ليس في نسخة «ق»: عز وجل.

استخلفت ابن أبزى مولى لنا. فقال عمر: استخلفت مولى؟ قال: إنه قارىء لكتاب الله، عالم بالفرائض. فقال عمر: أما إن نبيكم قد قال: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين**». وعن زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿نرفع درجات من نشاء﴾ [يوسف: ٧٦] قال بالعلم.

قوله: (وقوله عز وجل: رب زدني علماً) واضح الدلالة في فضل العلم، لأن الله تعالى لم يأمر نبيه ﷺ بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم، والمراد بالعلم العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره، وتنزيهه عن النقائص، ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقه، وقد ضرب هذا الجامع الصحيح في كل من الأنواع الثلاثة بنصيب، فرضي الله عن مصنفه، وأعاننا على ما تصدينا له من توضيحه بمنه وكرمه. فإن قيل: لم لم يورد المصنف في هذا الباب شيئاً من الحديث؟ فالجواب أنه إما أن يكون اكتفى بالآيتين الكريمتين، وإما بيض له ليلحق فيه ما يناسبه فلم يتيسر، وإما أورد فيه حديث ابن عمر الآتي بعد باب رفع العلم ويكون وضعه هناك من تصرف بعض الرواة، وفيه نظر على ما سنبينه هناك إن شاء الله تعالى. ونقل الكرماني عن بعض أهل الشام أن البخاري بوب الأبواب وترجم التراجم وكتب الأحاديث وربما بيض لبعضها ليلحقه. وعن بعض أهل العراق أنه تعمد بعد الترجمة عدم إيراد الحديث إشارة إلى أنه لم يثبت فيه شيء عنده على شرطه. قلت: والذي يظهر لي أن هذا محله حيث لا يورد فيه آية أو[1] أثراً. أما إذا أورد آية أو أثراً فهو إشارة منه إلى ما ورد في تفسير تلك[2] الآية، وأنه لم يثبت فيه شيء على شرطه، وما دلت عليه الآية كاف في الباب، وإلى أن الأثر الوارد في ذلك يقوى به طريق المرفوع وإن لم يصل في القوة إلى شرطه. والأحاديث في فضل العلم كثيرة، صحح مسلم منها حديث أبي هريرة رفعه: «**من التمس طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة**» ولم يخرجه البخاري لأنه اختلف فيه على الأعمش، والراجح أنه بينه وبين أبي صالح فيه واسطة. والله أعلم.

٢ـ باب مَنْ سُئِلَ عِلْماً وَهُوَ مُشْتَغِلٌ في حَدِيثِهِ فأتمَّ الحديثَ ثم أجابَ السائلَ

٥٩ـ **حدَّثنا** محمد بن سِنانٍ قال: حدَّثَنا فُلَيْحٌ. ح. **وحدَّثني** إبراهيمُ بنُ المُنْذِرِ قال: حدَّثَنا محمدُ بنُ فُلَيْح قال: حدَّثني أَبي قال: حدثني هِلالُ بنُ عليٍّ عن عَطاءِ بنِ يَسارٍ عنْ أبي هُرَيرةَ قال: بَيْنما النبيُّ ﷺ في مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ القومَ جاءَهُ أعْرابيٌّ فقال: مَتى الساعةُ؟ فمضى رسولُ اللّهِ ﷺ يُحَدِّثُ. فقالَ بعضُ القوم: سَمِعَ ما قال فكرهَ ما قال، وقال بعضهم: بلْ لمْ يَسْمَعْ. حتى إذا قَضى حَدِيثَهُ قال: «**أَينَ ـ أُراهُ ـ السائلُ عن الساعةِ؟**» قال: ها أنا يا رسولَ اللّهِ. قال: «**فإذا ضُيِّعَتِ الأمانةُ فانْتَظِرِ الساعةَ**». قال:

(١) في نسخة «ق»: ولا أثراً.

(٢) في نسخة «ق»: مالك.

كيفَ إضاعَتُها؟ قال: «إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غيرِ أهلِهِ فانتَظِرِ الساعةَ». [الحديث ٥٩ ـ طرفه في: ٦٤٩٦].

قوله: (باب من سئل علماً وهو مشتغل) محصله التنبيه على أدب العالم والمتعلم، أما العالم فلما تضمنه من ترك زجر السائل، بل أدبه بالإعراض عنه أولاً حتى استوفى ما كان فيه، ثم رجع إلى جوابه فرفق به لأنه من الأعراب وهم جفاة. وفيه العناية بجواب سؤال السائل ولو لم يكن السؤال متعيناً ولا الجواب، وأما المتعلم فلما تضمنه من أدب السائل أن لا يسأل العالم وهو مشتغل بغيره لأن حق الأول مقدم. ويؤخذ منه أخذ الدروس على السبق، وكذلك الفتاوى والحكومات ونحوها. وفيه مراجعة العالم إذا لم يفهم ما يجيب به حتى يتضح، لقوله: «كيف إضاعتها»، وبوب عليه ابن حبان: «إباحة إعفاء المسؤول عن الإجابة على الفور» ولكن سياق القصة يدل على أن ذلك ليس على الإطلاق، وفيه إشارة إلى أن العلم سؤال وجواب، ومن ثم قيل حسن السؤال نصف العلم، وقد أخذ بظاهر هذه القصة مالك وأحمد وغيرهما في الخطبة فقالوا: لا نقطع[1] الخطبة لسؤال سائل، بل إذا فرغ نجيبه[2]. وفصل الجمهور بين أن يقع ذلك في أثناء واجباتها فيؤخر الجواب، أو في غير الواجبات فيجيب. والأولى حينئذ التفصيل، فإن كان مما يهتم به في أمر الدين، ولا سيما إن اختص بالسائل فيستحب إجابته ثم يتم الخطبة، وكذا بين الخطبة والصلاة، وإن كان بخلاف ذلك فيؤخر، وكذا قد يقع في أثناء الواجب ما يقتضي تقديم الجواب، لكن إذا أجاب استأنف على الأصح، ويؤخذ ذلك كله من اختلاف الأحاديث الواردة في ذلك، فإن كان السؤال من الأمور التي ليست معرفتها على الفور مهمة فيؤخر كما في هذا الحديث، ولا سيما إن كان ترك السؤال عن ذلك أولى. وقد وقع نظيره في الذي سأل عن الساعة وأقيمت الصلاة، فلما فرغ من الصلاة قال: أين السائل؟ فأجابه. أخرجاه. وإن كان السائل به ضرورة ناجزة فتقدم إجابته، كما في حديث أبي رفاعة عند مسلم أنه قال للنبي ﷺ وهو يخطب: رجل غريب لا يدري دينه جاء يسأل عن دينه، فترك خطبته وأتى بكرسي فقعد عليه فجعل يعلمه، ثم أتى خطبته فأتم آخرها. وكما في حديث سمرة عند أحمد أن أعرابياً سأل النبي ﷺ عن الضب. وكما في الصحيحين في قصة سالم[3] لما دخل المسجد والنبي ﷺ يخطب فقال له: أصليت ركعتين؟ الحديث، وسيأتي في الجمعة. وفي حديث أنس: كانت الصلاة تقام فيعرض الرجل فيحدث النبي ﷺ حتى ربما نعس بعض القوم، ثم يدخل في الصلاة، وفي بعض طرقه وقوع ذلك بين الخطبة والصلاة.

قوله: (فليح) بصيغة التصغير هو ابن سليمان أبو يحيى المدني، من طبقة مالك وهو صدوق، تكلم بعض الأئمة في حفظه، ولم يخرج البخاري من حديثه في الأحكام إلا ما توبع عليه، وأخرج له في المواعظ والآداب وما شاكلها طائفة من أفراده وهذا منها. وإنما أورده

(١) في نسختي «ص، ق»: لا تقطع.
(٢) في نسختي «ص، ق»: يجيبه.
(٣) كذا في النسخ، وصوابه: «سليك» كما في صحيح مسلم.

عن فليح بواسطة محمد بن سنان فقط ثم أورده نازلاً بواسطة محمد بن فليح وإبراهيم بن المنذر عن محمد لأنه أورده في كتاب الرقاق عن محمد بن سنان فقط، فأراد أن يعيد هنا طريقاً أخرى، ولأجل نزولها قرنها بالرواية الأخرى. وهلال بن علي يقال له هلال بن أبي ميمونة[1] وهلال بن أبي هلال، فقد يظن ثلاثة وهو واحد، وهو من صغار التابعين، وشيخه في هذا الحديث من أوساطهم.

قوله: (يحدث) هو خبر المبتدأ وحذف مفعوله الثاني لدلالة السياق عليه. والقوم الرجال. وقد يدخل فيه النساء تبعاً.

قوله: (جاء أعرابي) لم أقف على تسميته.

قوله: (فمضى) أي استمر يحدثه، كذا في رواية المستملي والحموي بزيادة هاء، وليست في رواية الباقين، وإن ثبتت فالمعنى يحدث القوم الحديث الذي كان فيه وليس الضمير عائداً على الأعرابي.

قوله: (فقال بعض القوم سمع ما قال) إنما حصل لهم التردد في ذلك لما ظهر من عدم التفات النبي ﷺ إلى سؤاله وإصغائه نحوه، ولكونه كان يكره السؤال عن هذه المسألة بخصوصها، وقد تبين عدم انحصار ترك الجواب في الأمرين المذكورين، بل احتمل كما تقدم أن يكون أخره ليكمل الحديث الذي هو فيه، أو أخر جوابه ليوحى إليه به.

قوله: (قال أين أراه السائل) بالرفع على الحكاية، وأراه بالضم أي أظنه، والشك من محمد بن فليح. ورواه الحسن بن سفيان وغيره عن عثمان بن أبي شيبة عن يونس بن محمد عن فليح ولفظه: «أين السائل» ولم يشك.

قوله: (إذا وسد) أي أسند، وأصله من الوسادة، وكان من شأن الأمير عندهم إذا جلس أن تثنى تحته وسادة، فقوله: وسد أي جعل له غير أهله وساداً، فتكون إلى بمعنى اللام وأتى بها ليدل على تضمين معنى أسند. ولفظ محمد بن سنان في الرقاق: «إذا أسند» وكذا رواه يونس بن محمد وغيره عن فليح. ومناسبة هذا المتن لكتاب العلم أن إسناد الأمر إلى غير أهله إنما يكون عند غلبة الجهل ورفع العلم، وذلك من جملة الأشراط. ومقتضاه أن العلم ما دام قائماً ففي الأمر فسحة. وكأن المصنف أشار إلى أن العلم إنما يؤخذ عن الأكابر، تلميحاً لما روي عن أبي أمية الجمحي أن رسول الله ﷺ قال: «من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر» وسيأتي بقية الكلام على هذا الحديث في الرقاق إن شاء الله تعالى.

٣ـ باب مَن رَفَعَ صَوْتَهُ بالعِلْمِ

٦٠ـ حدثنا أبو النُّعْمانِ عارِمُ بنُ الفَضْلِ[2] قال: حدَّثَنا أبو عَوَانَةَ عنْ أَبي بِشْرٍ عن

(١) في نسختي «ص، ق»: ميمون.
(٢) ليس في نسخة «ق»: عارم بن الفضل.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٨ـ كتاب الصلاة

(بسم الله الرحمن الرحيم ـ كتاب الصلاة) تقدم في مقدمة هذا الشرح ذكر مناسبة كتب هذا الصحيح في الترتيب ملخصاً من كلام شيخنا شيخ الإسلام، وفي أوائلها مناسبة تعقيب الطهارة بالصلاة لتقدم الشرط على المشروط والوسيلة على المقصود، وقد تأملت كتاب الصلاة من فوجدته مشتملاً على أنواع تزيد على العشرين، فرأيت أن أذكر مناسبتها في ترتيبها قبل الشروع في شرحها، فأقول: بدأ أولاً بالشروط السابقة على الدخول في الصلاة وهي الطهارة وستر العورة واستقبال القبلة ودخول الوقت، ولما كانت الطهارة تشتمل على أنواع أفردها بكتاب، واستفتح كتاب الصلاة بذكر فرضيتها لتعين وقته دون غيره من أركان الإسلام، وكان ستر العورة لا يختص بالصلاة فبدأ به لعمومه ثم ثنى بالاستقبال للزومه في الفريضة والنافلة إلا ما استثنى كشدة الخوف ونافلة السفر، وكان الاستقبال يستدعي مكاناً فذكر المساجد، ومن توابع الاستقبال سترة المصلي فذكرها، ثم ذكر الشرط الباقي وهو دخول الوقت وهو خاص بالفريضة، وكان الوقت يشرع الإعلام به فذكر الأذان، وفيه إشارة إلى أنه حق الوقت، وكان الأذان إعلاماً بالاجتماع إلى الصلاة فذكر الجماعة، وكان أقلها إماماً ومأموماً فذكر الإمامة. ولما انقضت الشروط وتوابعها ذكر صفة الصلاة، ولما كانت الفرائض في الجماعة قد تختص بهيئة مخصوصة ذكر الجمعة والخوف، وقدم الجمعة لأكثريتها، ثم تلا ذلك بما يشرع فيه الجماعة من النوافل فذكر العيدين والوتر والاستسقاء والكسوف وأخره لاختصاصه بهيئة مخصوصة وهي زيادة الركوع، ثم تلاه بما فيه زيادة سجود فذكر سجود التلاوة لأنه قد يقع في الصلاة، وكان إذا وقع اشتملت الصلاة على زيادة مخصوصة فتلاه بما يقع فيه نقص من عددها وهو قصر الصلاة، ولما انقضى ما يشرع فيه الجماعة ذكر ما لا يتسحب فيه وهو سائر التطوعات، ثم للصلاة بعد الشروع فيها شروط ثلاثة وهي ترك الكلام وترك الأفعال الزائدة وترك المفطر فترجم لذلك، ثم بطلانها يختص بما وقع على وجه العمد فاقتضى ذلك ذكر أحكام السهو، ثم جميع ما تقدم متعلق بالصلاة ذات الركوع والسجود فعقب ذلك بصلاة لا ركوع فيها ولا سجود وهي الجنازة. هذا آخر ما ظهر من مناسبة ترتيب كتاب الصلاة من هذا الجامع الصحيح، ولم يتعرض أحد من الشراح لذلك، فلله الحمد على ما ألهم وعلم.

١ـ باب كيفَ فُرِضَتِ الصَّلواتُ[١] في الإسراء؟

وقال ابنُ عبّاسٍ: حدَّثني أبو سُفيانَ[٢] في حديثِ هِرقْلَ فقال: يأْمُرُنا ـ يَعني النبيَّ ﷺ ـ بالصلاةِ والصّدْقِ والعَفاف.

٣٤٩ـ **حدّثنا** يحيى بنُ بُكَير قال: حدثَنا الليثُ عن يونُسَ عنِ ابنِ شهابٍ عن أنس بنِ مالكٍ قال: كان أبو ذَرٍّ يُحدِّثُ أن رسولَ اللّهِ ﷺ قال: «فُرِجَ عن سَقفِ بيتي وأنا بمكةَ، فنزلَ جبريلُ ففَرَجَ صَدري، ثمَّ غَسلَهُ بماءِ زَمْزَمَ، ثمَّ جاءَ بطِسْتٍ مِن ذَهَبٍ مُمتَلِىءٍ حِكمةً وإيماناً فأفرَغَه في صَدرِي ثمَّ أطبَقَهُ، ثم أَخَذَ بيدي فعَرَجَ بي إلى السماءِ الدُّنيا، فلمّا جِئتُ إلى السماءِ الدُّنيا قال جِبريلُ لخازِنِ السماءِ: افتَحْ. قال: مَن هذا؟ قال: هذا[٣] جِبرِيلُ. قال: هَل مَعكَ أَحدٌ؟ قال: نعم، معي محمدٌ ﷺ. فقال: أُرسِلَ[٤] إليهِ؟ قال: نعم. فلما فتحَ عَلَوْنا السماء الدنيا، فإذا رجُلٌ قاعدٌ عَلَى يَمينِه أَسْوِدَةٌ وعلى يَسارِهِ أسْوِدَةٌ، إذا نَظَرَ قِبَلَ يَمينِهِ ضحكَ، وإذا نظرَ قِبَلَ يَسارِهِ[٥] بكى، فقال: مَرحباً بالنبيِّ الصالحِ والابنِ الصالحِ. قلتُ لجِبريلَ: مَن هذا؟ قال: هذا آدمُ، وهذهِ الأسودَةُ عن يَمينِهِ وشِمالِهِ نَسَمُ بَنيهِ، فأَهلُ اليَمينِ منهم أهلُ الجَنَّةِ، والأَسْوِدَةُ التي عن شِمالِهِ أهلُ النارِ، فإذا نظرَ عنْ يَمينِهِ ضَحِكَ، وإذا نظرَ قِبَلَ شِمالِهِ بكى. حتّى عَرَجَ بي إلى السماءِ الثانيةِ فقال لخازِنِها: افتحْ. فقال له خازِنُها مِثلَ ما قال الأوَّلُ، ففتحَ». قال أنسٌ: فذَكرَ أنه وَجدَ في السماواتِ آدمَ وإدريسَ وموسى وعيسى وإبراهيمَ صَلواتُ اللّهِ عليهم. ولم يُثبِتْ كيفَ مَنازِلَهُمْ، غيرَ أنه ذكرَ أنه وَجدَ آدمَ في السماءِ الدنيا، وإبراهيمَ في السماءِ السادسةِ. قال أَنَسٌ: فلمّا مَرَّ جِبرِيلُ بالنبيِّ ﷺ بإدْرِيسَ قال: «مَرحباً بالنبيِّ الصالحِ والأخِ الصالحِ. فقلتُ: مَن هذا؟ قال: هذا إدريسُ. ثمَّ مَرَرتُ بموسى فقال: مَرحباً بالنبيِّ الصالحِ والأخِ الصالحِ. قلتُ: مَن هذا؟ قال: هذا موسى. ثمَّ مررتُ بعيسى فقال: مَرحباً بالأخِ الصالحِ والنبيِّ الصالحِ قلتُ: مَن هذا؟ قال: هذا عيسى. ثمَّ مَرَرْتُ بإبراهيمَ فقال: مَرحباً بالنبيِّ الصالحِ والابنِ الصالحِ. قلتُ مَن هذا؟ قال: هذا إبراهيمُ ﷺ» قال ابن شِهاب فأخبرَني ابنُ حَزمٍ أنَّ ابنَ عبّاسٍ وأبا حَبَّةَ الأنصاريَّ كانا يقولانِ: قال النبيُّ ﷺ:

(١) في نسخة «ق»: الصلاة.
(٢) زاد في نسخة «ص»: بن حرب.
(٣) في نسخة «ق»: قال جبريل.
(٤) في نسخة «ق»: أأرسل.
(٥) في نسخة «ص»: شماله.

ركعتين لتفيد عموم التثنية لكل صلاة، زاد ابن إسحق قال: «حدثني صالح بن كيسان بهذا الإسناد إلا المغرب فإنها كانت ثلاثاً» أخرجه أحمد من طريقه، وللمصنف في كتاب الهجرة من طريق معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: «فرضت الصلاة ركعتين، ثم هاجر النبي ﷺ ففرضت أربعاً» فعين في هذه الرواية أن الزيادة في قوله هنا «وزيد في صلاة الحضر» وقعت بالمدينة، وقد أخذ بظاهر هذا الحديث الحنفية وبنوا عليه أن القصر في السفر عزيمة لا رخصة، واحتج مخالفوهم بقوله سبحانه وتعالى: ﴿فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة﴾ [النساء: ١٠١] لأن نفي الجناح لا يدل على العزيمة، والقصر إنما يكون من شيء أطول منه. ويدل على أنه رخصة أيضاً قول ﷺ: «صدقة تصدق الله بها عليكم» وأجابوا عن حديث الباب بأنه من قول عائشة غير مرفوع وبأنها لم تشهد زمان فرض الصلاة قاله الخطابي وغيره، وفي هذا الجواب نظر، أما أولاً فهو مما لا مجال للرأي فيه فله حكم الرفع، وأما ثانياً فعلى تقدير تسليم أنها لم تدرك القصة يكون مرسل صحابي وهو حجة، لأنه يحتمل أن تكون أخذته عن النبي ﷺ أو عن صحابي آخر أدرك ذلك، وأما قول إمام الحرمين لو كان ثابتاً لنقل متواتراً ففيه أيضاً نظر، لأن التواتر في مثل هذا غير لازم، وقالوا أيضاً: يعارض حديث عائشة هذا حديث ابن عباس «فرضت الصلاة في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين» أخرجه مسلم، والجواب أنه يمكن الجمع بين حديث عائشة وابن عباس كما سيأتي فلا تعارض، والزموا الحنفية على قاعدتهم فيما إذا عارض رأي الصحابي روايته بأنهم يقولون: العبرة بما رأى لا بما روى، وخالفوا ذلك هنا، فقد ثبت عن عائشة أنها كانت تتم في السفر فدل ذلك على أن المروي عنها غير ثابت، والجواب عنهم أن عروة الراوي عنها قد قال لما سئل عن إتمامها في السفر إنها تأولت كما تأول عثمان، فعلى هذا لا تعارض بين روايتها وبين رأيها، فروايتها صحيحة ورأيها مبني على ما تأولت. والذي يظهر لي ـ وبه تجتمع الأدلة السابقة ـ أن الصلوات فرضت ليلة الإسراء ركعتين ركعتين إلا المغرب، ثم زيدت بعد الهجرة عقب الهجرة إلا الصبح، كما روى ابن خزيمة وابن حبان والبيهقي من طريق الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت: «فرضت صلاة الحضر والسفر ركعتين ركعتين، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة واطمأن زيد في صلاة الحضر ركعتان ركعتان، وتركت صلاة الفجر لطول القراءة، وصلاة المغرب لأنها وتر النهار» اهـ. ثم بعد أن استقر فرض الرباعية خفف منها في السفر عند نزول الآية السابقة وهي قوله تعالى: ﴿فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة﴾ ويؤيد ذلك ما ذكره ابن الأثير في شرح المسند أن قصر الصلاة كان في السنة الرابعة من الهجرة، وهو مأخوذ مما ذكره غيره أن نزول آية الخوف كان فيها، وقيل كان قصر الصلاة في ربيع الآخر من السنة الثانية ذكره الدولابي وأورده السهيلي بلفظ «بعد الهجرة بعام أو نحوه، وقيل بعد الهجرة بأربعين يوماً»، فعلى هذا المراد بقول عائشة «فأقرت صلاة السفر» أي باعتبار ما آل إليه الأمر من التخفيف، لا أنها استمرت منذ فرضت، فلا يلزم من ذلك أن القصر عزيمة، وأما ما وقع في حديث ابن عباس «والخوف ركعة» فالبحث فيه يجيء إن شاء الله تعالى في صلاة الخوف.

ـ **فائدة:** ذهب جماعة إلى أنه لم يكن قبل الإسراء صلاة مفروضة إلا ما كان وقع الأمر به من صلاة الليل من غير تحديد، وذهب الحربي إلى أن الصلاة كانت مفروضة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي، وذكر الشافعي عن بعض أهل العلم أن صلاة الليل كانت مفروضة ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿فاقرؤوا ما تيسر منه﴾ فصار الفرض قيام بعض الليل، ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس. واستنكر محمد بن نصر المروزي ذلك وقال: الآية تدل على أن قوله تعالى: ﴿فاقرؤوا ما تيسر منه﴾ إنما نزل بالمدينة لقوله تعالى فيها: ﴿وآخرون يقاتلون في سبيل الله﴾ والقتال إنما وقع بالمدينة لا بمكة، والإسراء كان بمكة قبل ذلك اهـ. وما استدل به غير واضح، لأن قوله تعالى: ﴿علم أن سيكون﴾ [المزمل: ٤٠] ظاهر في الاستقبال، فكأنه سبحانه وتعالى امتن عليهم بتعجيل التخفيف قبل وجود المشقة التي علم أنها ستقع لهم. والله أعلم.

٢ـ باب وجُوبِ الصلاةِ في الثيابِ،
وقولِ اللّهِ تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]
ومَن صلَّى مُلتحفاً في ثَوبٍ واحد

ويُذكَرُ عن سَلمةَ بنِ الأكوَعِ أن النبيَّ ﷺ قال: «يَزُرُّهُ[1] ولو بشوكةٍ». في إسنادِه نظر. ومن صلَّى في الثوبِ الذي يُجامِعُ فيه ما لم يَرَ[2] أذًى، وأمرَ النبيُّ ﷺ أن لا يَطوفَ بالبيتِ عُريانٌ.

قوله: (باب وجوب الصلاة في الثياب، وقول الله تعالى: خذو زينتكم عند كل مسجد) يشير بذلك إلى ما أخرجه مسلم من حديث ابن عباس قال: «كانت المرأة تطوف بالبيت عريانة» الحديث وفيه فنزلت ﴿خذوا زينتكم﴾ ووقع في تفسير طاوس قال في قوله تعالى: ﴿خذوا زينتكم﴾ [الأعراف: ٣١] قال: الثياب، وصله البيهقي، ونحوه عن مجاهد، ونقل ابن حزم الاتفاق على أن المراد ستر العورة.

قوله: (ومن صلى ملتحفاً في ثوب واحد) هكذا ثبت للمستملي وحده هنا، وسيأتي قريباً في باب مفرد، وعلى تقدير ثبوته هنا فله تعلق بحديث سلمة المعلق بعده كما سيظهر من سياقه.

قوله: (ويذكر عن سلمة) قد بين السبب في ترك جزمه به بقوله: **(وفي إسناده نظر)**. وقد وصله المصنف في تاريخه وأبو داود وابن خزيمة وابن حبان واللفظ له من طريق الدراوردي عن موسى بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة عن سلمة بن الأكوع قال: «قلت يا رسول الله إني رجل أتصيد، أفأصلي في القميص الواحد؟ قال: **نعم زره ولو بشوكة**» ورواه

(١) في نسخة «ص»: تزره.
(٢) في نسخة «ق»: يَرَ فيه.